عظة الأب عبود عبّود الكرملي

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

دار المسيح الملك- زوق مصبح

2017/2/14

باسم الآب والابن والرّوح القدس، الإله الواحد، آمين.

إخوتي وأخواتي،

في كلّ شهر، نجتمع مع جماعة "أذكرني في ملكوتك"، لنستذكر أمواتنا، ونصلّي لأجل راحة نفوسهم، فالموت لا يستطيع أن يقطع علاقتنا بأحبّائنا المنتقلين، إذ إنّ علاقتنا بهم تبقى مستمرّة من خلال الصّلاة والذبيحة الإلهيّة.
في أسبوع الكهنة الأبرار، أي في الأسبوع الماضي، صلّينا مع الكنيسة جمعاء من أجل الكهنة الّذين انتقلوا من بيننا، وقد هيّئوا لنا الطريق في حياتهم الأرضيّة، فنقلوا إلينا إرث الإيمان، وقدّموا التضحيّات في سبيل ذلك. كما صلّينا أيضًا من أجل الكهنة الّذين لا يزالون أحياء في هذه الفانية، كي تكون مسيرتهم مقدَّسة، وينقلوا إلينا الإيمان الصّحيح، ويقدّموا لنا أسرار الكنيسة كالمعموديّة والتوبة والافخارستيّا، فنتمكّن من متابعة مسيرتنا الروحيّة صوب الربّ.
وفي هذا الأسبوع، أسبوع الأبرار والصِّديقين، نذكر كلّ موتانا الّذين عاشوا وِفقَ تعاليم المسيح فكانوا "نور العالم" و"ملح الأرض" في حياتهم الأرضيّة. إنَّ موتانا غابوا عنّا في الحضور فحسب، أي أنّه لم يعد بإمكاننا رؤيتهم إلّا من خلال عيون الإيمان. إنّنا نصلّي باستمرار لأمواتنا، الّذين يُصلّون بِدَورهم لنا، فشراكة الصّلاة تجمعنا بِمَن غادروا هذه الأرض. إنّ عبارة "الأبرار والصِّديقين" لا تقتصر فقط على الموتى المؤمنين، بل هي تنطبق على كلّ الّذين يعيشون تعاليم يسوع المسيح في حياتهم، وبعضهم مَن لا يزال على قيد الحياة، لذا فإنّ صلاتنا لبعضنا البعض، نحن الأحياء، مُهمّة، لأنّها تُساعدنا على الاستمرار في الشَّهادة ليسوع في حياتنا اليوميّة كما تقود في بعض الأحيان إلى الاستشهاد الدمويّ.

أمّا في الأسبوع المقبل، أسبوع الموتى المؤمنين، فسنصلّي لجميع موتانا: سنصلّي للّذين كانوا في حياتهم الأرضيّة في مَعيّة الله، ونحن نذكرهم باستمرار في قدّاساتنا وصلواتنا، كما سنصلّي لجميع الموتى الّذين كانوا بعيدين عنه، كي يتمكّنوا من اكتشاف رحمة الله لهم في الحياة الأبديّة. إنّ صلاتنا اليوم تنبع من هذا الإيمان بالربّ يسوع الّذي يمنحنا الرّجاء بقيامة الأموات، لذا صلاتنا تُعطينا دفعًا وعزمًا للسير قُدُمًا في هذه الحياة وكلّنا رجاء أنّنا سنلتقي عند انتقالنا من هذه الحياة، بأحبّائنا الموتى الأبرار والصِّديقين، وسنسبّح معهم الله ونمجّده.

في إنجيل اليوم الّذي تُلِيَ على مسامعنا، يقول يسوع في المؤمنين به إنّهم ملح الأرض. إنّ الملح هو مِن المواد الأساسيّة المستعملة في تحضير الطّعام، وهو متوافرٌ بسهولة في السّوق، لذا نجد أنّ ثمنه متواضعٌ جدًّا. يُوضع المِلح في الطّعام بكميّة قليلة فيُعطيه نكهةً وجودةً، إذ بِدُونه لا يكون للطّعام مذاقٌ طيّبٌ. إنّ المؤمن الّذي يسير وِفقَ تعاليم المسيح ويعيش وِفقَ أسرار الكنيسة يُشبِه الملح في الطّعام، إذ يكون في نظر أبناء هذا العالم متواضع الثّمن ولا قيمة له، أمّا في عيني الله فهو أغلى المخلوقات وأثمنها. إنّ المؤمن الّذي يعيش وِفق تعاليم الإنجيل ويتزوّد باستمرار بأسرار الكنيسة يُدرك أنّ حياته في هذه الأرض ستمنحه السّعادة على هذه الأرض وكذلك في السّماء، كما يُدرِك أنّ الطريق الّتي يسير فيها ستُوصله إلى الحياة الثانية، أي إلى الملكوت. على الإنسان المؤمن أن يكون كالملح في هذا العالم: فكما أنّ الملح يذوب في الطّعام ليُعطيه مذاقًا طيّبًا، كذلك على المؤمنين أن يذوبوا في هذا العالم فيدفعوه إلى تغيير مساره. إنّ المؤمنين بالمسيح، على الرّغم من قلّتِهم العدديّة، يستطيعون بشهادتهم الصّالحة للمسيح، زرع الرغبة في قلوب الآخرين للتعرّف إلى المسيح ومحبّته. إنّ كلّ مؤمنٍ مدّعو للشّهادة للمسيح في قلب مجتمعه: في منزله، في مدرسته، في جامعته، في مكان عمله، وفي محيطه، وذلك من خلال أعماله وتصرّفاته، أقواله وحتّى في صمته. ليس الصّمت إخوتي، دليل ضعفٍ وانهزامٍ على الدّوام، بل قد يكون الصّمت دليل قوّةٍ وتعبيرٍ عن محبّتنا للمسيح: فمريم العذراء أمّنا، اتّسمت حياتها بالصّمت، إذ كانت تتأمّل كلّ الأحداث في قلبها بصمت، وتوجّعت بصمت أيضًا عندما وقفت عند أقدام صليب ابنها. إنّ حياة المؤمنين تفتقد إلى الصّمت، ذلك الصّمت الروحيّ، الّذي يدفعهم إلى إسكات كلّ ضجيج العالم ليتفرّغوا لسماع صوت الربّ في داخلهم، فيُدركوا مشيئته عليهم ويُحقِقوها. إنّ الصّمت ضروريّ في حياة المؤمنين، وبخاصّة عند مجيئهم للسّجود للربّ الحاضر في القربان الأقدس، وعند إصغائهم لكلمته من خلال القراءات المقدّسة أو في أثناء سماعهم لعظات الكهنة. إنّ مثل هذا الصّمت المقدّس، يمنحنا القوّة والدّفع كي نشهد بطريقة أفضل للمسيح في قلب عالمنا اليوم.

في هذا الإنجيل أيضًا الّذي تُلِيَ اليوم على مسامعنا، نسمع قول الربّ يسوع في المؤمنين به إنّهم نور العالم. إنّ النّور الحقيقيّ هو يسوع المسيح، وهو لا يزول أبدًا. إنّ يسوع المسيح يبقى نور هذا العالم، حتّى وإن اختار البعض العيش في الظلمة. إنّ المسيح يسوع جاء إلى هذا العالم ليُضيءَ على جميع الّذين يعيشون في الظلمة، ويمنحهم النّور الّذي لا يزول. إنّ نور العينين مهمٌّ جدًّا للإنسان كي يتمكّن من رؤية الأمور حوله، ولكنّ النّور الأهمّ هو نور القلب لأنّه يساعدنا على رؤية أمورٍ لا تستطيع العيون البشريّة رؤيتها. إنّ القلب هو مركز العواطف والحواس كلِّها عند الإنسان،

ولذا على المؤمن أن يحاول جاهدًا أن ينظر إلى الآخرين انطلاقًا من حواسه وعواطفه، فيكون شهادة حيّة للمسيح أمام الآخرين. إنّ الرّسل قد عكسوا نور المسيح في حياتهم أمام الآخرين، فكانوا كضوء القمر الّذي يعكس نور الشمس، عند حلول الظلام. وهذا هو دور المسيحيّين في عالم اليوم، إذ إنّ المطلوب منهم هو أن يكونوا ذلك النّور الّذي يعكس نور المسيح للعالم كلّه، فيتمكّن كلُّ مَن يعيش في ظلمة هذا العالم مِن رؤية النّور الّذي لا يزول. إنّ نور المسيح لن يبقى مخفيًا عن هذا العالم على الدّوام، بل سيظهر له ويضيء ظلمته، وما حياة القدّيسين إلّا مثال على ذلك. فالقدّيس شربل مثلاً تمكّن من خلال وجوده في الصّومعة مِن أن يُشِّع نور المسيح إلى العالم كلّه بفضل صلاته واتّحاده بالربّ يسوع. وكذلك القدّيسة تريزيا الطِّفل يسوع، تمكّنت أيضًا من إشعاع نور المسيح للعالم، على الرّغم مِن أنّها لم تغادر الدَّير يومًا. إنّ القدّيسة تريزيا أصبحت شفيعة المرسلين، على الرّغم من عدم مغادرتها لحِصن الدير، وذلك من خلال صلاتها المستمرّة للربّ من أجلهم كي يمدّهم بالشجاعة والقوّة ليتمكّنوا من النّجاح في إيصال كلمته إلى البشريّة جمعاء. إذًا، على المؤمن أن يسعى إلى عيش حياةٍ خفيّةٍ مع الربّ يسوع كي يتمكّن مِن إظهار نور المسيح، لأنّ نور المسيح لا يظهر من خلال الإنسان الّذي يسعى إلى حبّ الظهور والشهرة، بل من خلال الإنسان المتواضع، وهذا ما أظهرته لنا حياة جميع القدّيسين.

إنّ المدينة الموضوعة على جبلٍ والّتي تكلّم عنها الإنجيل، تشبه الجماعات المسيحيّة الّتي عليها أن تضيء بنور المسيح للجماعات الأخرى. على كلّ عائلة مسيحيّة أن تعكس نور المسيح في محيطها، فتستنير العائلات الأخرى بنور المسيح. إنّ كلّ عائلة تعيش وِفقَ تعاليم المسيح ووِفقَ تعاليم الكنيسة لا بدّ لها أن تُصبح مركزَ إشعاعٍ لنور المسيح لكلّ من يراها. ليس هدف القوانين والوصايا إجبار المؤمنين على الالتزام بها، إنّما الهدف منها هو مساعدة المؤمنين على العيش وِفقَ روحانيّة الإنجيل وتعاليم المسيح. إنّ المسيح قد أحبّنا للغاية لذا جاء وخلّصنا من الخطيئة، ولم يهدف من خلال تعاليمه الّتي أعطاها للرّسل وبالتّالي للمؤمنين، إلّا إلى وضع خطّة طريق لجميع المؤمنين كي يتمكّنوا من السير في الطريق الصّحيح فيصلوا في نهايتها إلى الملكوت والحياة الأبديّة. إنّ كلّ مؤمن وكلّ عائلة مسيحيّة هي تلك المدينة الّتي وُضعت على الجبل لتضيء للآخرين، وهم سيتمكّنون من مواجهة صعوبات هذه الحياة من دون أن يتزعزعوا في إيمانهم لأنّه مبنيّ على الصّخر، أي على يسوع المسيح.

إذًا، لنتسلّح إخوتي، بالرّجاء الّذي لا يخيب، المبنيّ على إيماننا بيسوع المسيح، فنتمكّن من مواجهة صعوبات الحياة بكلّ شجاعة. إنّ هذا الرّجاء المسيحيّ يُذكّرنا أنّ أمواتنا هم أحياء مع الربّ في الملكوت، وأنّهم قاموا من الموت كما الربّ يسوع المسيح، ولذا نحن نذكرهم في صلواتنا. سنقدّم هذه الذبيحة الإلهيّة من أجل جميع الموتى، أكانت تربطنا بهم علاقة قُربى أم لا، وسنصلّي لهم وفي قلبنا فرحٌ عظيم لأنّنا واثقون أنّهم يحيَون الآن مع الآب السماويّ، وهم يسبّحونه مع جوقة الملائكة والقدّيسين ويمجّدونه، مُدركين أنّه في يوم من الأيّام سننضمّ إليهم لنشاركهم التسبيح والتمجيد لله الآب. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت العظة مِنْ قِبَلِنا بتصرّف.